الشرف وتحوّلات الذكورة

تتقاطع علاقة الشرف بالذكورة عند مجال أساسيّ من المجالات المجتمعيّة، وهو المجال القيميّ. فإذا كان "الشرف" قيمة اجتماعية ثقافية متغيّرة عبر الزمن، فإن "الذكورة" كمفهوم متعدّد الأبعاد، نظراً لمضمونه الفيزيولوجي والسيكولوجي والتربوي والسوسيولوجي، يشكّل بدوره قيمة اجتماعية ثقافية قابلة للتغيير أيضاً عبر الزمن. وليس أدلّ على ذلك ما جاء به مفهوم "الجندر" Genderأو "النوع الاجتماعي" الذي يتعيّن بالمحدّدات الاجتماعية–الثقافية لانتماء الشخص إلى أحد الجنسين(ذكر وأنثى) والتي تميّزه عن المحدّدات البيولوجية المولود عليها بالفطرة. وما ترتّب عن هذا المفهوم من تمييز بين النوع الاجتماعي والجنس، انطلاقاً من مبدأ أن النوع ليس الجنس بل الأدوار الاجتماعية بين المرأة والرجل في المجتمع التي يمكن في إطارها تلمّس اختلاف العلاقات بين النوعين، وأسباب عدم التوازن في العلاقة بينهما بغية تعديلها وتطويرها لبلوغ المساواة بين المرأة والرجل.

ولا شكّ أن مفهوم الجندر ببعده النِسوي، وفي سياق تقريبه اجتماعياً بين أدوار كلا الجنسين، من شأنه الإسهام، على المستوى النفساني العلائقي في المصالحة بين "الذكورة" و"الأنوثة". بعض السمات التي كانت في الأمس "أنثوية" أو "ذكرية" حصراً– كالعاطفة والمشاعر والخجل والنعومة...إلخ المقرونة بالأنوثة/المرأة، والصلابة وقوّة الشخصيّة والجرأة والقوّة...إلخ المقرونة بالذكورة/الرجل– راحت تتفلت من قيود النموذج الذي أُسرت فيه سابقاً. ما أكسب معاني الأنوثة والذكورة ليونة أكبر في النسق القيمي العالمي مقارنة بأزمنة ماضية.

تحوّلات المعاني هذه، راح يرافقها كلام على "أزمة في الذكورة" تجلّت، كما أشارت عزّة بيضون شرارة في كتابها "**الرجولة وتغيّر أحوال النساء**"، في أن "الرجال الذين نشأوا في المجتمعات الأبوية على نفي الأنوثة من هوياتهم، وعلى تبجيل ذكورتهم، يعيشون، حالياً، مشاعر الاختلاط والحيرة بسبب تراجع حصرية الأسباب التي أفضت سابقاً إلى فخر واعتزاز آبائهم: الذكورة في نسختها البطريركية/الأبوية[1]".

المعاني المتغيّرة للذكورة والأنوثة لم تقتصر فقط على الهويّة الداخلية وإنما على الهوية الخارجيّة أيضاً، المتمثّلة بالمظهر والزيّ، اللّذين ركّز إيريك زيمور في كتابه "**الجنس الأول**" على إثبات ملامحهما[2]. ومن ذلك مثلاً، الجمال الأندروجيني الذي لم يعد خافياً على أحد في مجتمعه الفرنسي من جهة، والانخراط المتزايد للرجال في حقل التجميل والجمال الذي كان مقتصراً على

---

[1] بيضون، عزة شرارة، **الرجولة وتغيّر أحوال النساء**، ط1 ، بيروت، المركز الثقافي العربي،2007 ، ص31 .

[2] Voir Zemmour ,Éric, **Le premier sexe**, France, éd, Denöel,2006·

النساء من جهة ثانية. واعتبر زيمور أن الرأسمالية، بوصفها القوّة الثورية الأصيلة للتاريخ، قد حطّمت كل العلاقات التقليدية، ومن ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، العائلة البطركية التي كانت العقبة الأخيرة أمام تسليع العالم[3]. بحيث رافق التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تغيّرات في بنية الأسرة البطركيّة طالت مفهوم السلطة ومفهومي الأمومة والأبوّة، والأدوار الجنسيّة...إلخ. أما إرهاصات هذه التحولات داخل الأسرة التي بدت أكثر وضوحاً في الغرب نظراً لأسبقيتها مقارنة بالدول العربيّة، فتجلّت، عبر أحد وجوهها، بالدعوة للالتفات إلى دور الأب، لكن ليس بوصفه ممثلاً للسلطة أو للقوانين بل بوصفه معنيّاً، على المستوى العاطفي، بالعلاقة الوالدية. واحتلت هذه الدعوة أهمية، لاسيما في فرنسا، مع مخلّفات الأفكار الثورية التي جاء بها العام 1968 . فبرز تطوّر في سلوكيات الآباء الذين اقتربت سلوكياتهم أكثر فأكثر من سلوكيات الأمهات. راح الآباء الجدد–في سياق العلاقة التربوية–يطالبون بجانبهم الأنثوي عبر رفض بعض القيم الرجولية[4]. هذا، في الوقت الذي تبرز فيه مسألة السلطة عموماً، بمجالاتها السياسيّة والأسريّة والمدرسيّة كافة، كإشكاليّة مطروحة في زمننا العالمي الراهن. بحيث أظهرت دراسة حديثة لرصد الآراء حول أهمية السلطة أن نسبة الفرنسيّين المؤيدين للعودة إلى احترام السلطة قد ارتفعت من 51 % إلى 65 % بين أعوام 1981 و1999 . وبيّن استطلاع حديث للرأي بأن نسبة الفرنسيّين الذين ندّدوا بتسامح القضاة قد ارتفعت من 29 % عام 1980، إلى 40 % عام 1984 ، لتبلغ 72 % عام 2002[5] . وترتّب عن طرح مسألة السلطة على بساط البحث والنقاش إشكاليّة تتلخّص بالسؤال التالي: "كيف يمكن إدراك أو كيف يمكن ممارسة العلاقة التربوية، بالتحديد، في ثقافة جرى اختراقها، إلى حدّ كبير، من قبل ديناميّة المساواة؟[6]"؛ والمقصود بذلك المساواة على صعيد المواطنة،أوعلى صعيد علاقة الرجال بالنساء،أو الراشدين بالأطفال، أو الأساتذة بالطلبة...إلخ.

في الإطار اللّبناني العربي الحاضن لتحوّلات الذكورة:

لئن كنا اليوم في عالمنا العربي عموماً، وفي مجتمعنا اللّبناني خصوصاً،نعيش عصر "ما بعد الحداثة" المصحوب بتداعيات العولمة، فإن السيرورة التاريخية التي شهدتها مجتمعاتنا كمجتمعات كانت ولما تزل تابعة عند كلّ منعطف تاريخي للنظام العالمي الجديد الذي يمثّله الغرب وحداثته، جعلت هذه المجتمعات تحيا حداثتها بصورة إشكاليّة. لذا اعتبر شرابي أن النظام الأبوي يشير

[3] Ibid., p.123.

[4]Ferrand, Michèle**, Féminin Masculin**, Paris, éd La découverte,2004,p·43.

[5] Renaut, Alain, **La fin de l'autorité**, Paris, éd Flammarion,2004, pp·8-9.

[6] Ibid., p.141.

اليوم إلى النظام الأبوي التقليدي أو القديم، والنظام الأبوي الجديد أو المستحدث، معتبراً أن "النظام القائم في المجتمع العربي اليوم ليس نظاماً تقليدياً بالمعنى التراثي، كما أنه ليس معاصراً بالمعنى الحداثوي، بل هو خليط غير متمازج من القديم والحديث، من التراثي والمعاصر: نظام غريب يختلف عن أي نظام آخر(...) ولذلك فمهما كانت المظاهر الخارجية–مادية، قانونية، جمالية–للعائلة الأبوية المستحدثة المعاصرة ومجتمعها "حديثة"، فإن بناها الداخلية تبقى مجذّرة في القيم الأبويّة وعلاقات القربى والعشيرة والطائفة والجماعة العرقية. المحصلة إذن فريدة في بنيتها المزدوجة: الحديث والأبوي متعايشان في إطار وحدة متناقضة[7]".

ولئن كانت الأسرة وحدة اجتماعيّة أساسيّة من وحدات المجتمع المنتجة للقيم وللأدوار الاجتماعية المرسومة التي يُعاد من خلالها إنتاج الحداثة الإشكالية المشار إليها، أو إشكالية الحداثة، ارتأت هذه الدراسة البحث في علاقة تحوّلات الذكورة بالشرف انطلاقاً من إطار الأسرة، وتحديداً من خلال المراهقين فيها. واختيار هذه الفئة العمرية عائد لسببين: أولاً لما يمثّله المراهقون والمراهقات عموماً من قوّة مجتمعيّة، سواء في العالم العربي أو في لبنان؛ وثانياً لأن "الأدوار الاجتماعية المستقبلية للمرأة والرجل تصنع اليوم فيما يُغرس في عقول المراهقات والمراهقين وما يتاح أمامهم من فرص وإمكانيات[8]".

فالإحصاءات تشير إلى الارتفاع النسبي لنسب صغار السنّ في معظم البلدان العربية على الرغم من الانخفاض الملحوظ لهذه النسب خلال الفترة 1975–2000. وقد قدّرت نسبة السكان دون سن الـ18 سنة بحوالي 46.5 % من إجمالي عدد سكان الدوال العربية عام 2002 . وبلغت نسبة المنتمين إلى الفئة العمرية 12–17 سنة نحو 14.4 %، وتراوحت بين نحو 8.3 % كحدّ أدنى في قطر و16.6 % كحدّ أقصى في سوريا[9].

هذا في الوقت الذي بلغت فيه نسبة المراهقات بعمر 15 –19 في لبنان 9.5 % من إجمالي عدد الإناث البالغ 1885563 أنثى، مقابل نسبة 10.2 % للذكور المنتمين إلى نفس الفئة العمرية من إجمالي عدد الذكور البالغ 1868222 ذكر[10].

ولما كانت الأدوار الاجتماعية المستقبلية للمرأة والرجل في لبنان لا تزال محكومة بالتمايز النوعي في تنشئة الأطفال والمراهقين، لاسيما في ظلّ الفروقات بين المرأة والرجل التي تكرّسها القوانين والأعراف والتقاليد السائدة في ثقافتنا العربيّة، اعتبرنا بأن فئة المراهقين هذه سوف توضح

---

[7] شرابي، هشام، **النظام الأبوي وإشكالية تخلّف المجتمع العربي**،تر.محمود شريح، ط4 ، بيروت، دار نلسن، 2000 ، ص ص 25 ، 36 .

[8] مجموعة باحثين، **الفتاة العربية المراهقة: الواقع والآفاق(تقرير المرأة العربية)**، ط1 ، تونس، كوثر-صندوق الأمم المتحدة للسكان والاتحاد الأوروبي، ص38 .

[9] **التقرير الإحصائي لواقع الطفل العربي**، دليل تنمية الطفل العربي، العدد التاسع، المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، 2006 ، ص ص31-32 .

[10] **الدراسة الوطنية للأحوال المعيشيّة للأسر للعام2004** (أولى النتائج الإحصائيّة المنهجية) ، دائرة الإحصاء المركزي، الجمهورية اللبنانية، 2006 .

افتراضنا الضمني بثبات القيمة التقليديّة الذكريّة للشرف في وعي المراهقين، على الرغم من تحوّلات الذكورة. والمقصود بالثقافة مفهومها الكلاسيكي الذي حدّده العالم الأنتروبولوجي إدوارد تايلور على أنه "ذلك الكلّ المعقّد الذي يتضمّن المعرفة والعقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والتقاليد وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع[11]".

إفتراضنا الضمني بثبات القيمة التقليديّة الذكريّة للشرف في وعي المراهقين يعزّزه دور الأسرة كحاضن للثقافة– بما تنطوي عليه من عادات وتقاليد– ولأبعاد هذه الثقافة القائمة على التمييز الجنسي. إذ لا تزال الفتاة في إطار هذه الثقافة الأداة الرئيسية للمصاهرة ولحفظ امتيازات العائلة، بحيث تقع عليها أكثر من الذكر في الأسرة تبعات الخروج عن التقاليد العائلية. فهي لا تزال شرف الرجل وعرضه،كما لا يزال أمر تأديبها منوطاً به، لأن سلوكها قد يضع العائلة بأكملها على المحك. لذا غالباً ما يُناط أمر تأديب الفتاة إلى الأخ، بالإضافة إلى الأب، أو إلى الزوج بعد زواجها. وقد بيّنت دراسة حول جرائم الشرف في لبنان، من خلال أحكام صادرة بين عامي1995 و1998 أن الجرائم التي تدور حول الشرف والتي ارتكبها الأخ بحق أخته بلغت 22 جريمة من أصل 36 . فيما أتى الزوج في المرتبة الثانية(7 جرائم ارتكبها الزوج من أصل 36)، فالأب(6 جرائم من أصل 36)،فالابن(حالة واحدة من أصل 36)[12]. كما بيّنت الملفات القضائيّة الخاصة بتسع وعشرين جريمة قتل نساء في مختلف المحافظات اللّبنانية، تراوحت تواريخها بين الأعوام 1980 و2002، أن 36 % من مرتكبي هذه الجرائم ارتكبها الأخوة. وان أعمار الجناة تركّزت في الفئات الشابة(بين 15 و26 سنة)، وأن من هم تحت سنّ الرشد(تحت سنّ 18 سنة) شكلوا نسبة 24 % من مجموع مرتكبي هذه الجرائم[13]. وهذه جميعها مؤشرات تحيل على دور التنشئة الأسريّة في ترسيخ شعور الذكور بأنهم أوصياء على شرف نساء العائلة، ولاسيما الأخوات، كما تحيل في الوقت عينه على التمايز النوعي الذي يتوارثه المراهق من خلال عملية التنشئة هذه. هذا مع ضرورة الإشارة إلى أن علاقة الشرف برجولة الأخوة وذكورتهم التي تعزّزها الوقائع والأرقام جرت دراستها على مستويات نظرية متعدّدة، لاسيما على المستويات النفسية والاجتماعية والنفس–اجتماعية. وقد سبق للباحثة جرمين تيليون أن بيّنت في كتابها الشهير "**الحريم وأبناء العم**" أن الذكر الصغير في البحر الأبيض المتوسط كلّه، شمالاً وجنوباً، يكون "مدرّباً سلفاً على القيام بمهمّة المصاحب/المراقب لمراهقة فاتنة، ويعرف بالضبط أي نوع من الخطر هي معرضة له–حيث إن هذا الخطر يقدم للطفل كسبب لعار مخيف، يسقط كلية

---

[11] Tylor,Edward Burnett**,Primitive culture**,London,John Murray,1871,V1,ch1,p.1.

[12] راجع، مغيزل فادي،عبد الساتر ميريللا،**جرائم الشرف:دراسة قانونية**،ط1 ،بيروت،مؤسسة جوزيف ولور مغيزل،1999 .

[13] راجع، صيداوي، رضا رفيف، الفصل الرابع "التحليل الاجتماعي لعيّنة البحث" من كتاب **جرائم الشرف بين الواقع والقانون**، ط1 ، بيروت، الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضدّ المرأة، 2007.

العائلة المعتزّة بكبريائها في الدناءة، ويلطخ حتى الأجداد الأماجد في مقابرهم، وهو شخصياً الصبي القاصر، المسؤول أمام ذويه عن رأس المال الصغير والخاص جداً للشابة الجميلة التي هي بمثابة خادمته، أمه، موضع حبّه، وجوده، وغيرته...باختصار: أخته[14]". كما أشارت تيليون إلى البعد النفسي أيضاً لعلاقة الشرف بالأخوة، تلك العلاقة المتمثّلة بالغيرة المقنّعة من قريبة محرَّمة بقناع الدفاع عن العائلة[15].

خلفيّة النقاشات المركّزة:

في سياق دراسة ميدانية تناولت أشكالاً ثلاثة من العنف الجنسي الواقع على الفتيات المراهقات في لبنان، والمتمثلة بالزواج المبكّر، والعنف القائم على مفهوم "الشرف"، والتحرش الجنسي وما شابه من اعتداءات جنسية غالباً ما تقع على الفتيات، جرى الاستناد إلى نقاشات مركّزة مع مجموعات من المراهقين والمراهقات. وكان أحد محاور النقاش المركّز قد دار حول رأي المراهقين والمراهقات بالشرف ورأيهم بشرف الفتاة وبشرف الصبي، وبالعلاقة الجنسية خارج إطار الزواج. وبالتالي، شكّلت نتائج النقاشات المركّزة مؤشراً نوعياً سمح باستخلاص المسكوت عنه في النقاشات المركّزة، وما يختزنه المراهقون، ذكوراً وإناثاً، من أفكار نمطية تتعلّق بأدوار كلا الجنسين.

وعليه، ارتأينا من خلال هذه الدراسة العودة إلى ما جرى من نقاش مع مجموعات الذكور ضمن هذا المحور تحديداً. لأن دراسة تمثّلات الشرف لدى المراهقين الذكور اليوم في ظلّ التغيير الحاصل، لاسيما على صعيد علاقة الرجل والمرأة، قد تزّودنا بمؤشر نوعي• عن نمط واحد أو أكثر من أنماط التحوّلات في قيم الذكورة.

وصف العيّنة:

بلغ مجموع الذكور 29 مراهقاً توزّعوا على ثلاث مجموعات جرى معها النقاش المركّز. وينتمي هؤلاء المراهقون، وهم جميعهم مسلمون، إلى مناطق مدينيّة ذات غالبية مسلمة. وقد توزّعوا على

---

[14] تيليون، جرمين، **الحريم وأبناء العمّ: تاريخ النساء في مجتمعات المتوسط**، تر. عز الدين الخطابي وإدريس كثير، ط1 ، بيروت، دار الساقي، 2000 ، ص ص 116 -117 .

[15] المرجع السابق نفسه، ص117 .

• تجدر الإشارة إلى أن النقاش المركّز هو نقاش جاد موجّه نحو هدف محدّد، وغالباً ما يستخدم لجمع معطيات نوعية ذات صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم واتجاهاتهم. كما أن الكلمة فيه ليست الوسيلة الوحيدة للاتصال، لأن خصائص الصوت وتعبيرات الوجه والهيئة والإيماءات ونظرة العين والسلوك العام تدخل جميعها لتكملة ما يُقال. وبالتالي، يهدف القائم بالنقاش المركّز إلى استثارة المعلومات أو التعبيرات لدى المجموعة التي يديرها(المبحوثين) بغية التعمق في فهم ظاهرة معيّنة وليس لتجميع المعطيات الكمّية.

فئتين عمريّتين: فئة 14–15 سنة التي انتمى إليها نحو 31 % من مجموع الذكور، وفئة 16–18 سنة، التي انتمى إليها 69 % منهم.

المجموعة الأولى ضمّت 12 صبيّاً من محافظة بيروت. ينتمي 11 منهم إلى الفئة العمرية 16–18 سنة، مقابل انتماء صبيّ واحد إلى الفئة العمرية 14–15 سنة.

المجموعة الثانية ضمّت 10 ذكور من محافظة بيروت أيضاً. ينتمي 6 منهم إلى الفئة العمرية 14–15 سنة و4 إلى الفئة العمرية 16–18 .

المجموعة الثالثة ضمّت 7 ذكور من منطقة الشياح المدينية (ضاحية بيروت الجنوبية). ينتمي 2 منهم إلى الفئة العمرية 14–15 سنة، مقابل انتماء 5 منهم إلى الفئة العمرية 16–18 سنة.

المستويات التعليمية والمهنية للأهل:

بلغ مجموع عدد أهالي المراهقين 58 شخصاً، ارتفعت بينهم نسبة الجامعيّين لتبلغ نحو 43 %. مع الإشارة إلى أن نسبة الأهل الجامعيين تركّزت في مجموعتي بيروت مقابل انخفاض هذه النسبة في مجموعة ضاحية بيروت الجنوبية(راجع الملحق: جدول رقم–1 –).

هذا وارتفعت نسبة الآباء العاملين في مهن عليا• فبلغت هذه النسبة نحو 51 %، مقابل نسبة 24 % للآباء الذين يشغلون مهناً متوسطة(راجع الملحق: جدول رقم–2 –).

وقد استحوذت مجموعتا بيروت على النسبة الأكبر من الآباء العاملين في مهن عليا مقارنة بمجموعة الضاحية الجنوبية. إذ إن 58 % من مجموعة ذكور بيروت1 شغل الآباء فيها مهناً عليا، مقابل 80 % لمجموعة بيروت2، و0 % لمجموعة ضاحية بيروت الجنوبية(راجع الملحق: جدول رقم–3 –).

• جرى تصنيف أنشطة الآباء ضمن فئات سبع هي: فئة الوظائف أوالأنشطة التجارية والخدماتية المرتفعة الشأن(كالتعليم المتخصّص الثانوي والجامعي، وإدارة الشركات والبنوك، والتجارة الكبرى...إلخ)، فئة الوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية المتوسطة الشأن(كالتعليم غير المتخصص وغير العالي والسكريتاريا والمحاسبة وما شابه)،فئة الأنشطة الصغيرة والهامشية(كخدم المنازل والمقاهي والنواطير،والباعة المتجوّلين...إلخ)،فئة العمال غير المهرة(كالعمال في المطابع أو في أعمال الحفر والعمال الزراعيين...إلخ)،فئة العاطلين عن العمل، فئة المهنيّين(كالحدادين، والنجارين، والمزيّنين، والقائمين بأعمال السنكرة وما شابه). في حين شملت الفئة الأخيرة(غيره) المتقاعدين أو المتوفين. وقد اتبع التصنيف المهني نفسه لأمهات المراهقين والمراهقات لكن مع استبدال فئة العاطلين عن العمل بفئة ربّات البيوت.

هذا، وبلغت نسبة الأمهات العاملات في هذه المجموعات نحو 17 % من مجموع الأمهات البالغ 29 أماً. واستقطبت فئة الوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية العليا والوسطى النسبة الأكبر من نشاطات الأمهات العاملات، حيث بلغت هذه النسب 60 % للوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية الوسطى و40 % للوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية العليا، وذلك في مجموعتي بيروت فقط. إذ لم تُسجل أيّ نسبة أمهات عاملات في مجموعة الضاحية الجنوبية.

نتائج النقاشات المركّزة:

لعلّ أبرز ما أفضت إليه النقاشات المركّزة مع المراهقين حول العنف الجنسي الذي تتعرّض له الفتيات، بروز نوع من التضارب بين مفهوم المراهقين للشرف من جهة، وبين مواقفهم حيال شرف الفتاة أو الصبيّ. فالشرف من منظور غالبية هؤلاء المراهقين يوازي القيم الأخلاقية والوطنيّة العامة. فالشرف هو الوطن والاحترام وعزّة النفس والكرامة...إلخ. بحيث إن قلّة من الذكور(نحو 2 % من مجموع أفراد العيّنة) ربطت الشرف تلقائياً بالفتاة. كالقول مثلاً، بأن الشرف هو "سلاح المرأة"، أو أنه "العرض"...إلخ. وهذا الموقف يختلف جذرياً عن موقف مجموعة أخرى من المراهقين(بين سنّ 13 و19 سنة) جرت دراستها في ريف مصر. وهو موقف يمكن وصفه بالفجّ أو الصارم حيال أدوار كلا الجنسين وشرف الفتاة. لأن الرجولة بدت في هذه المجموعة الريفيّة المصرية بوصفها النقيض الإيجابي للأنوثة(ص67)، وبدا كلّ من "شرف العائلة" و"سمعة الفتاة" شديديّ الترسّخ فيها[16].

لكن السؤال عمّا إذا كان شرف الصبيّ يختلف عن شرف الفتاة، سرعان ما كشف في عيّنتنا عن تمثّل نسبة كبيرة من الذكور ل"ثقافة الشرف" التي تحصر هذا المفهوم بالسلوك الجنسي للفتاة. فالشرف برأي 62 % من مجموع الذكور يختلف بين الصبيّ والفتاة. أما الأسباب التي أوردوها فكانت الآتية: "**لأن الشاب ليس مقيّداً كالفتاة**"/ "**لأن الشاب لديه حرية أكبر**"/ **لأن خطأ الفتاة يختلف عن خطأ الصبي**".

وقد تعزّز انطباعنا هذا نتيجة الإجابات المتنوّعة عن السؤالين التاليين: كيف يجدر بالفتاة أن تتصرف لكي تظهر أنها تحترم الشرف؟ كيف يجدر بالصبيّ أن يتصرف لكي يظهر أنه يحترم الشرف؟ بحيث تقلّصت نسبة الذين ساووا بين تصرفات البنات وتصرفات الصبيان، أي نسبة الذين أطلقوا معايير أخلاقية مشتركة ينبغي للجنسين أن يتبعانها: كأن يكون كلّ من الجنسين مهذباً، أو أن يحترم كلّ منهما نفسه، وأن تكون أدبياتهما لائقة...إلخ. فبلغت نسبة هؤلاء نحو

[16] Zibani ,Nadia and Brady,Marta,“ Adolescent Boy′s response to Gender Equitable programming in Rural Upper Egyptian Villages: Between ' Ayb and Haram”, **Al -Raida**, LAU,VXXI,Nos·104-105,Winter/Spring2004,p·67·

20 %، في الوقت الذي مالت فيه الأكثرية(نحو 80 %) إلى تخصيص الفتيات بمعايير سلوكية تخصّ جسدهنّ، ولا تخرج عن الصورة النمطية التي تحصر الشرف بجسد الفتاة وتجعل من الصبي الحريص أو القيّم على شرف الفتاة.

	معايير أخلاقية	**معايير تخصّ "الشرف".**
رأيهم بسلوك الفتاة	-يجب أن تحترم نفسها -يجب أن تكون طريقة كلامها لائقة. -يجب ألا ترفع صوتها والردّ على من هم أكبر منها سنّاً. -يجب أن تبدو محافظة. -يجب أن تتصرف كما يملي عليها المجتمع. - يجب أن تحافظ على معتقدات عائلتها وطائفتها.	-يجب على الفتاة ألا "تتمحن" وأن تحافظ على شرفها وما "تخلّي حدا يدقّ فيها". -يجب أن تحافظ على "نفسها"، وألا تجعل من نفسها ألعوبة. -يجب أن تحتشم في لباسها. - إذا مُسّ شرف البنت يمسّ شرف العائلة كلها. -يجب أن تحافظ على جسدها. -لا يجب أن تكون دلوعة أو "مايعة". -يجب أن تكون معتدلة في لباسها ومشيتها وتصرفاتها.
رأيهم بسلوك الصبيّ	-يجب أن يكون قوي الشخصية. -يجب ألا يفضل مصلحته الخاصة على مصلحة الغير. -يجب أن يكون وفياً. -يجب أن يحترم نفسه. - لا يجب أن يتفوّه بكلام بذيء. - يجب أن يحترم الأكبر منه سناً. -لا يجب أن يتعاطى الخمر والمخدرات. -عليه أن يحسن التعامل مع الناس. -يجب أن يكون ذكياً ومتعلماً.	-يجب أن يحافظ على "عرضه" وألا يدع أحد "يدقّ" بكرامته. -يجب أن يحافظ على شرف عائلته. -يجب ألا يتعدّى على البنات وأن يساعد الفتاة كي لا تتعرّض لأي شيء. -يجب أن يعامل الفتيات كما يعامل أخته.

هذا، وبلغت نسبة الذكور غير الراضين عن ثقافة الشرف السائدة في مجتمعنا، أي الثقافة التي تحصر الشرف بالفتاة، نحو 24 % من مجموع المراهقين.

لعلّ أبرز ما عزّز ميلنا إلى تلمسّ هذا التضارب بين مفهوم المراهقين للشرف من جهة، وبين مواقفهم حيال شرف الفتاة أو الصبيّ من جهة ثانية، هو الاتجاه الليبرالي–إذا ما جاز التعبير– للذكور الذي عكسته مواقفهم حيال الأشكال الثلاثة للعنف الجنسي الذي تتعرّض له الفتاة، والتي تجلّت كالآتي:

أ. في التحرّش الجنسي:

ناهض المراهقون التحرّش الجنسي بالفتيات، محيلين هذه الظاهرة إلى الكبت والحرمان بالدرجة الأولى وإلى عقدة نفسية أو مرض نفسي بالدرجة الثانية.

ب . في الزواج المبكّر:

استنكر المراهقون الزواج المبكّر للفتاة لأسباب عدّة نذكر منها الآتي:

"الزواج المبكّر مسؤولية على الفتاة"/ "أنه لا يسمح بالتفاهم بين الشريكين"/ يجب على الفتاة أن تتمتّع بحياتها قبل الارتباط الأبدي"/ "حرام، فالفتاة تكون صغيرة على تحمل مسؤولية البيت والأولاد"/ "يجب أن تكون الفتاة قد اختبرت الرجال لتعرف من تختار زوجاً لها"/ "قد تربي الأم الصغيرة أطفالها بطريقة خاطئة"/ "في عمر مبكّر لا تكون الفتاة على دراية بالصحّ والخطأ"/ "قد تتعرض الفتاة للخطر والمرض"/" تصبح الفتاة مقيّدة باكراً"/ "لأن الفتاة قد تندم لاحقاً"/ لأن الفتاة لا تكون مستعدة للحمل والجنس"/ "لأن جسدها لا يكون قد اكتمل بعد"/ "لأن زوجها لن يتفهمها ولن يحترم طريقة تفكيرها على اعتبار أنها صغيرة مما قد يولّد العنف، هذا عدا عن الشعور بالغربة الذي قد يرافق الفتاة"...

ج . في جرائم الشرف:

ارتفعت نسبة المناهضين للجرائم المرتكبة بحقّ الفتيات والنساء تحت إطار "الشرف" لتبلغ نحو 83 % من مجموع الذكور. حتى المؤيدين لهذه الجرائم من مجموعة بيروت1 (بنسبة 33 % من مجموع ذكور هذه المجموعة البالغ 12 ذكراً)،ومن مجموعة الشياح –الضاحية الجنوبية (بنسبة 14 % من مجموع ذكور هذه المجموعة البالغ 7 ذكور)، فجاء تأييدهم مشروطاً بحالات استثنائيّة، وهي الحالات التي تقدم فيها امرأة على فعل الخيانة الزوجية.

وعلى الرغم من ما ينطوي عليه هذا الموقف من استبطان لقيم ذكورية تبيح للذكر معاقبة الزوجة لكونه القيّم على سلوكها، فإن ليبرالية المواقف حيال الفتاة عكسها الاقتناع الظاهر للذكور ببعض الأدوار الجديدة للفتاة وببعض حقوقها، لاسيما قولهم بحق الفتاة في أن تحيا حياتها قبل الزواج،

أو تأييدهم لحق الفتاة بالتعلّم والعمل أسوة بالصبيّ، بما يحيل على مفهوم غير تقليدي للزواج ينظر إلى الزواج على أنه شراكة وقبول بين طرفيه. وقد بيّنت دراسة حول الزواج ومعوّقاته الاجتماعية والاقتصادية لدى الشباب اللبناني "أن الشباب في الجيل الطالع أكثر تمسكاً بالمشاعر والأحاسيس العاطفية كأساس للاختيار[17]".

خلاصة مواقف المراهقين حول العنف الجنسي:

أظهرت نتائج العمل الميداني أن الوعي بالمخاطر الناتجة عن ظاهرة العنف الجنسي بأشكاله الثلاثة، التي شكّلت موضوع البحث الأساسي، هو في ازدياد لدى المراهقين عموماً. إذ تجلّى هذا الوعي في إدراكهم ما يشكّله العنف الجنسي الواقع على الفتيات من انتهاك لحقوق المراهقة، وما يتركه من آثار سلبية على حياة الفتاة والأسرة والمجتمع. لاسيما وأن المراهقين قد اعتبروا أن الجرائم التي ترتكب باسم الشرف هي تجسيد للتخلّف والجهل، وأنهم ناهضوا كذلك التزويج المبكّر للفتاة إنطلاقاً من آثاره السلبية ليس فقط على الفتاة نفسها بل على الأسرة ككلّ (العلاقة بالشريك، والأطفال...إلخ). وجميع هذه المواقف تعتبر مؤشراً نوعياً على ازدياد الوعي الذي بدا مرتبطاً على الأرجح بالانتشار الإعلامي في عصر العولمة الحالي، وما يرافقه من تناقل هام للمعلومات عبر العالم، فضلاً عن الإقبال المتزايد للفتيات والنساء على التعلّم والعمل خلال العقدين المنصرمين– وهو إقبال فرض نفسه وبات واقعاً ملموساً يصعب تجاهله–وما نتج عنه من تطوّر إيجابي على صعيد الأدوار الجندريّة .

ما لم يقله المراهقون:

لئن بدا الموقف اللّيبرالي للمراهقين ناتجاً عمّا أفصحت عنه إجاباتهم الصريحة، فإن إجابتهم على السؤال الافتراضي حول موقفهم في حال تعرّض أختهم للاغتصاب وفقدانها بالتالي عذريتها، عزّزت قناعتنا مرّة أخرى بالتناقض الملحوظ بين المواقف والمفاهيم. بحيث أعرب نحو 52 % من مجموع مراهقي العيّنة عن مواقف "متفهّمة". والمقصود بالموقف "المتفهّم" الوقوف إلى جانب الضحية ومساندتها لاجتياز الأذى الذي سبّبه لها الاغتصاب، والادعاء على المغتصب. أما الموقف "التقليدي" فهو اللّجوء إلى أساليب تقليدية غايتها التستير على ما حصل خوفاً من كلام الناس والمجتمع، كمحاولات التستير على الموضوع وتزويج الفتاة للمغتصب. وقد بلغت نسبة الذكور المائلين إلى هذا الاتجاه 14 %. أما الموقف "العنفي" فتمثّل باللّجوء إلى قتل المغتصب.

[17] حمدان، حسان، **حقوق الشباب الزواج والمعوّقات الاجتماعية والاقتصادية دراسة ميدانية**، ط1 ، بيروت، مركز حقوق المرأة للدراسات والأبحاث، 2002 ، ص25 .

وبلغت نسبة الذكور الذين يتبنّون الموقف العنفي 3 %، وهو موقف موجّه ضدّ المغتصب وليس ضدّ الضحية. فيما بلغت نسبة الذين لم يجاوبوا نحو 31 % .
لكن التناقض الذي أشرنا إليه، والمحيل على ازدواجية المعايير التي يستبطنها المراهقون تعزّزت بفعل عدد المؤشرات، منها:

أولاً: ارتفاع نسبة المراهقين الذين يعتبرون أن شرف الفتاة يختلف عن شرف الصبي، وبلوغها– كما سبقت الإشارة– نحو 62 % من مجموع ذكور العيّنة.

ثانياً: تبدّل المواقف حيال فقدان الفتاة عذريتها عندما يتمّ ذلك بإرادتها وليس بفعل الاغتصاب.

الموقف من عذريّة الفتاة:

الموقف المتفهّم الذي ساد بين المراهقين في المجموعات الثلاث مع السؤال الافتراضي عن موقفهم في حال تعرّض أختهم للاغتصاب وفقدانها عذريتها سرعان ما تغيّر عند افتراض أن أختهم مارست الجنس بإرادتها وفقدت عذريتها. بحيث تراوحت المواقف بين "متفهم" (بمعنى عدم التدخل بشؤون الأخت على اعتبار أن الموضوع يدخل في نطاق حياتها الخاصة)، والموقف "التقليدي"(الذي يعتبر سلوك الأخت خطأ ينبغي تصحيحه)، والموقف "العنفي"(أي اللجوء إلى تعنيف الأخت معنوياً وجسدياً وصولاً إلى القتل).فبلغت نسبة الذكور ذوات الموقف المتفهّم 6 %، مقابل 27 % للموقف التقليدي، و48 % للموقف العنفي، و17 % لا جواب. مع تركّز نسبة المواقف العنفية في مجموعة بيروت1 ، يليها مجموعة بيروت2، وذلك على الرغم من ارتفاع المستويات التعليميّة والمهنيّة للأهل في هاتين المجموعتين، وعلى الرغم من تركّز نسبة الأمهات العاملات في هاتين المجموعتين. في ما لوحظ تركّز نسبة عدم الإجابة في مجموعة الشياح–الضاحية الجنوبية كما هو مبيّن في الرسم البياني التالي (رسم–1–).

رسم1 : مواقف الذكور حيال إقدام الأخت على ممارسة الجنس خارج الزواج

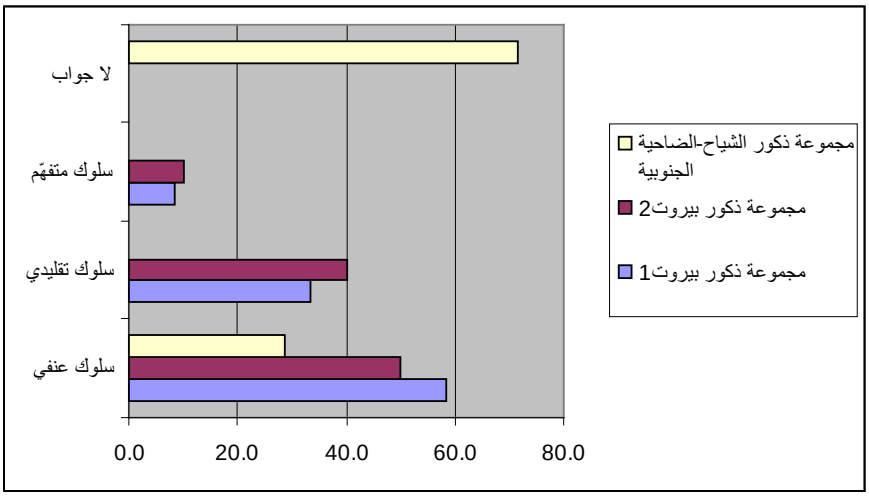

ولعلّ أبرز ما أظهره هذا الجزء من النقاش، شعور الذكور بأنهم أوصياء على شرف أخواتهم بما يدعم انتماءهم "الذكوري" أو "الرجولي" التقليدي الذي تكرّسه التنشئة الاجتماعية والأسرية. وذلك باستثناء النسبة الضئيلة من الذكور الذين أبدوا موقفاً متفهّماً، تجلّى بقولهم إن عذرية أختهم هي شأن خاص بها، وإنهم بالتالي غير أوصياء عليها.

في ازدواجية المواقف:

الموقف اللّيبرالي أوالموقف التقليدي للذكور، وإن كانا قابلين للتغيير مع تقدم المراهق في السنّ ومع تنوّع خبراته الحياتية، إلا أنهما يحيلان، في بعد أساسي من أبعادهما، إلى الازدواجية الثقافيّة، لاسيما ازدواجية التقليد والحداثة،السائدة في لبنان. بحيث إن "زحزحة" التقليد تعتريه صعوبات أو معوقات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تجعل من حداثة لبنان وغيره من بلدان العالم الثالث حداثة مشوّهة تتعايش فيها عناصر التحديث الوافدة من الغرب مع عناصر التقليد، بما يجعل من ازدواجية المعايير الثقافية والقيميّة والأخلاقية في المجتمع اللّبناني سمة غالبة في توجيه المجتمع والأفراد. ولقد أظهر تقرير بعنوان: "**الشرف في لبنان: مفهومه ودلالاته**[18]"، استند إلى جلسات نقاش مركّز مع عدد من الآباء والأمهات[19]،أن مفهوم الشرف كما يتمثّل عند الأهل في مختلف المحافظات اللّبنانيّة هو في ظاهره تعبير عن رؤى حداثية تتجاوز التمييز بين الأنثى والذكر، وفي باطنه تدليل على تشرذم هذه الرؤى لما تحمله من

[18] صيداوي، رفيف رضا، **الشرف في لبنان: مفهومه ودلالاته**، الهيئة اللّبنانية لمناهضة العنف ضدّ المرأة، بيروت، 2005.

[19] شكّل هؤلاء ثلاثين ثنائياً تألّف من زوج وزوجة يمثّلون مختلف الطوائف والمناطق اللّبنانية ومختلف الفئات العمرية التي تراوحت بين 30 –35 سنة ولغاية الفئة العمرية 61 سنة وما فوق، ولديهم أبناء من الجنسين تتراوح أعمارهم بين 8 و16 عاماً.

موروثات تقليدية تحصر الشرف في السلوك الجنسي للفتاة. ولئن بدا أن نحو 78% من نساء العينة هنّ إما ليبراليّات محافظات أو راديكاليّات في تحرّرهنّ[20] بما يشير إلى كونهنّ أكثر انفتاحاً من رجال العيّنة وأكثر رفضاً للتقاليد والعادات المتعلقة بالشرف، فإن ذلك لم يحل دون تبيان ازدواجية مواقفهنّ، لاسيما مع قناعة معظمهنّ بأدوارهنّ في احتلال دور المعبّر عن الشرف والحارس الأمين له، فضلاً عن مسؤوليتهنّ في الحفاظ على سمعة العائلة وصونها من خلال صون الذات.

إن مقولات مثل، "**مثل ما تربيّت سوف أربّي ابنتي**"، أو مثل "**إذا أخطأت ابنتي لا بدّ أن أراجع نفسي**"...إلخ، هي من المقولات التي تكرّرت على لسان النساء في مختلف المجموعات بما يشير إلى تذوّتهنّ لمفهوم المرأة "العورة" وإلى تذوّتهنّ أيضاً لمفهوم قوامة الرجل ودوره في حماية هذا الشرف الذي يجعله مسؤولاً عن محو العار المتمثّل بجسد الفتاة أو المرأة. لذا لم يكن من المستغرب اتجاه بعض النساء في أكثر من مجموعة إلى ترك القرار النهائي فيما يخصّ الإبنة التي مارست "عاراً " إلى أزواجهنّ. كقولهنّ مثلاً: "**أحاول أن أثني زوجي عن القتل. لكن إذا رفض أترك الأمر له**"، أو **..إذا رفض فلا حول ولا قوة إلا بالله...**" ، أو "**إنّني أترك الأمر لزوجي.**

ولئن كنّا في تقريرنا المشار إليه قد أوردنا أن للبنان تركيبة اجتماعية شديدة التنوّع تنعكس على نظام الأسرة وتغيّراتها وعلى نظامها التقليدي نفسه، لاسيما مع التقدم التكنولوجي الكبير والتأثر بآليات نظام العولمة الغربي بأبعاده الثقافية، ولئن كنا قد ركّزنا على أن هذه التحولات التي طالت الأسرة طالت أيضاً أساليب التنشئة الاجتماعية، لاسيما في ما يتعلّق بالأدوار النمطية للمرأة

---

[20] تم في هذا البحث تصنيف اتجاهات أفراد العيّنة ومواقفهم ضمن اتجاهات ثلاثة، هي الاتجاه المحافظ الذي لايقرّ بالمساواة التامة بين الصبيّ والفتاة ويتبنّى صراحةً، ومن دون تورية، مفهوم قوامة الرجل على المرأة، كما يتبنّى أيضاً الحلول العنفية ومنها القتل في حال فقدان الفتاة عذريتها؛ والاتجاه اللّيبرالي المحافظ، الذي يجري فيه القبول بمجاراة أنماط العيش الحديثة والأدوار الجديدة التي تمارسها الفتيات، كإقبالهنّ على التعليم العالي والأعمال التي كانت حتى وقت قريب مقتصرة على الرجل، وحرية خروجهنّ من المنزل...إلخ. وكذلك احترام حقوق الفرد، ذكراً كان أم أنثى، كأساس للمساواة بين الجنسين في الحياة العائلية والعامة، لكن مع عدم التحرّر الكامل لذوي هذا الاتجاه من الأنماط التقليدية في تقسيم العمل بين المرأة والرجل في المجتمع والأسرة،وما يتبع ذلك من أدوار نمطية لكلا الجنسين.إذ انطوى الموقف اللّيبرالي لبعض أفراد العيّنة على اتجاهين: اتجاه يعبّر عن قيم غير مرغوب للفتاة أن تتبناها، كالحريّة "الزائدة" المتمثّلة، من وجهة نظر الأهل، بالسهر خارج البيت أو العودة ليلاً إلى المنزل إلا إذا كان ذلك بدافع العمل، وكذلك عدم تقبّل فقدان الفتاة عذريّتها...إلخ، واتجاه آخر يشدّد على بعض هذه القيم وليس كلّها، لكنه يشدّد على الدور النمطي لكلا الجنسين وعلى اعتبار المرأة ربّة منزل بالدرجة الأولى ومسؤولة عن تربية الأبناء وسلوكهم على الرغم من الزعم بالمساواة التامة بين الجنسين. وقد تمثّل هذا الاتجاه بمثال شعبي يقول: "الرجل جنّا والمرا بنّا ".

أما الاتجاه "الراديكالي التحرّري" فهو الذي عبّر المصنّفون في خانته عن القبول المطلق بالقيم ذاتها بالنسبة إلى الذكر وإلى الأنثى وبالمساواة التامة بينهما من دون قيد أو شرط، وكذلك عدم إيلائهم أيّ أهمية تذكر لعذرية الفتاة، وعدم حصرهم الشرف فقط بالسلوك الجنسي للمرأة.

والرجل، والأبناء والبنات، فإن ما قادنا إليه هذا التقرير هو حقيقة أن هذا التغيّر لم يفضِ إلى تكريس الثقافة الحديثة التي تتعاطى مع مفهوم الجنس على أنه نتاج اجتماعي. بل إن هذه الثقافة التقليدية، التي تربط وظيفة النوع الاجتماعي بوظيفته البيولوجية، لا زالت ثقافة راسخة. إذ تجعل من هذه الوظيفة الأساس الثقافي للتنشئة، وترتكز على التمايز النوعي، وذلك على الرغم من كلّ المظاهر المتغيّرة للأسرة من جهة، ولأساليب تربية الأبناء من جهة أخرى. وبالتالي قد تتعايش في لبنان ظاهرتان متناقضان كظاهرة جرائم الشرف والمساكنة على الرغم من محدوديتهما وعدم انتشارهما على نطاق واسع.

دور المتغيّرات الاجتماعية-الثقافية:

اللافت في الحوارات المركّزة مع المراهقين هو أنهم بغالبيتهم لم يبدوا انزعاجهم من ثقافة الشرف السائدة(76 %). أما الذين أبدوا انزعاجهم(ونسبتهم 24 % فقط) فهم بغالبيتهم(أي بنسبة21 %) ينتمون إلى ذكور مجموعة الضاحية الجنوبية التي انخفضت فيها المستويات التعليمية والمهنية للآباء مقارنة بمجموعتي بيروت•. وهي المجموعة التي عاد أفرادها وأكدوا أن الشرف جيّد على الرغم من الانزعاج الذي أبدوه. ومن أقوالهم في هذا الصدد: "**لولا الشرف لاختلطت الأنساب**"/ "**الشرف ضروري في المجتمع**".

بيّنت هذه الإجابات **أن** المراهقين في المجموعات كافة مرتاحون نسبياً للمكتسبات التي يمنحهم إياها مجتمعهم كجنس. أما مواقفهم اللّيبرالية حيال الجنس الآخر، فهي لا تعبّر عن قناعة تامة بالمساواة بين الجنسين، ولا تشمل المساواة بين الجنسين في ما يتعلق بالحياة الخاصة. ولعلّنا في ذلك نقترب من النتيجة التي أفضى إليها "**تقرير الفتاة العربية المراهقة**" حول المساواة. بحيث لحظ التقرير أن مطلب المساواة المتعلق بالحقوق الأساسية كالتعليم والرعاية الصحية والحق في البقاء مقبول من قبل المراهقات والمراهقين على نطاق واسع نسبياً، "مقارنةً بالنوع الثاني من الحقوق المتعلقة بالحق في العمل والمشاركة السياسية أو الثالث المتصل بالأسرة والأحوال الشخصية والعلاقات الجنسيّة[21]".

أما الانزعاج الملحوظ من ثقافة الشرف أو عدم الرضا عنها، فهو لا يعني التمرّد عليها أو رفضها. وما الانزعاج الملحوظ من هذه الثقافة لدى مجموعة ذكور الشياح(مجموعة3) إلا تعبير عن القيود التي تفرضها هذه الثقافة عليهم. فالشرف الذي يقلّص حدود حريتهم مرتبط بنظرهم بالقيود المفروضة على الفتاة في محيطهم:"**القيم التي تفرض على البنت تزعجنا**". لكن خضوعهم

• راجع جدول رقم-1-توزّع آباء الذكور بحسب مستويات التعليم في مجموعات النقاش الثلاث(%) وجدول رقم-3-:النسب المئوية لتوزّع آباء الذكورعلى المهن بحسب كلّ مجموعة نقاش.

[21] **الفتاة العربية المراهقة: الواقع والآفاق(تقرير المرأة العربية)**، م س، ص260 .

لهذه القيم جعلهم حريصين عليها وغير ساعين إلى تجاوزها على الرغم من الضغط الذي تفرضه عليهم. الأمر الذي جعلنا نلمس أن الرضوخ لثقافة الشرف لدى الذكور المنتمين إلى البيئات الفقيرة(كما هو حال مجموعة3) غالباً ما يكون أكبر مما هو عليه الحال في البيئات الأخرى.
ومن المؤشرات التي دلّت على البيئة الضاغطة ما نتج عن السؤال الافتراضي الذي وُجّه للمراهقين عما إذا كانوا يعلنون عن تعرضهم للاغتصاب في حال حدوث ذلك. إذ بلغت نسبة الذين يعلنون 28 % مقابل 52 % للّذين لا يعلنون، و20 % من دون جواب. وقد انعدمت نسبة الذين يعلنون عن تعرّضهم للاغتصاب في مجموعة ذكور الضاحية الجنوبية لتبلغ صفر بالمائة(راجع الملحق: جدول رقم– 4–).

ووردت أسباب عدم إعلان الذكور، لاسيما في مجموعة الضاحية الجنوبية، عن تعرّضهم للاغتصاب، كالآتي: "**أخفي الأمر، إنه جرصة**"/ **إذا أعلنت عن ذلك أخسر كرامتي**"/ "**أخفي حفاظاً على السمعة**"/ "**لأننا إذا سرنا في الشارع سوف يقول الناس: "هذا الذي تعرّض للاغتصاب**"/"**لا أعلن لأنه لن يكون بمقدور الواحد منا بعد ذلك أن يسير على الطريق(بي صير ما إلو عين يمشي في الطريق)**. وهي جميها مبرّرات اعتقدوا أنها تطال "رجولتهم".

ملاحظات ختامية

لئن كان مفهوم الشرف شأن سائر المفاهيم الاجتماعية الثقافية الشديدة الصلة بالتغيّرات التاريخية الاجتماعية التي تعيد تشكيل رؤية الإنسان عموماً إلى العالم، فإن تمثّلات هذا المفهوم خضعت من دون أدنى شك لتلك التغيّرات، لاسيما وأن الفرد في بنية اجتماعية معيّنة يؤثر ويتأثر بالمفاهيم الاجتماعية الثقافية السائدة، وإن بشكل غير تلقائي. فشرف "الكلمة" وشرف "الضيافة" وشرف "الدفاع عن القريب"...وسوى ذلك من المفاهيم التي يتركّب منها مفهوم الشرف المتوارث عن السياق القبلي العربي تختلف، من حيث مضامينها ووظائفها، عن مضامينها المستحدثة أو المتغيّرة، خاصة وأن القيم الاجتماعيّة الثقافية، بما تتضمنه من أبعاد أخلاقية وقيميّة، مشروطة بالتحولات الاقتصادية. وبالتالي يبدو أن شرف الكلمة الذي كان يشكّل أحياناً محور العلاقة بين الدائن والمدين، أو محور العلاقة في أي عملية تبادل تجاري، هو من القيم الاجتماعية للزمن الثقافي العربي الإسلامي، حيث كان المجتمع يطوّر أقصى طاقاته للسير على هدى القرآن والسنّة، لاسيما وأن الإسلام دين عبادة ومعاملات في آن معاً، أي ديناً ودولة. إذ ينظر القرآن " بعين الرضا إلى الفعالية التجارية، مكتفياً باستنكار أساليب الغش والخداع"، في حين أن أقصى العدالة التي كان يبتغيها (...)المسلمون الأكثر حرصاً على الولاء للمثل الأعلى القرآني، كان يتمثل في الملامح التالية: دولة تحكم وفق المبادئ الموحى بها من الله، وتعامل جميع المؤمنين

بالتساوي تجاه الشريعة السماوية، وتحقق في قلب الجماعة الإسلامية تكافلاً واسعاً على حساب المحظوظين ولمصلحة الفقراء"[22]. ومن هنا قول الإمام علي بن أبي طالب: "عليك بالصدق في جميع أمورك"، وقوله أيضاً: "جانبوا الكذب فإن الصادق على شَفَا مَنْجاة وكرامة، والكاذب على شَفَا مَهْواةٍ وهلكة" أو: " لا تغدرَنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلَنَّ عدوّك"، أو "أوفوا إذا عاقدتم، واعدلوا إذا حكمتم، ولا تفاخروا بالآباء"....إلخ.

فالشرف إذن، من المفاهيم الاجتماعية الثقافية التي حرصت الجماعات العربية من خلاله على خصائصها. لكن تعدّد أبعاد هذا المفهوم وتقاطع مكوّناته، فضلاً عن تغيّر هذه المكوّنات وتبدّلها أو اضمحلال البعض منها يبقى مشروطاً بالتحولات الاجتماعية الاقتصادية عبر الزمن. لذا، فإن سيطرة المضمون الذكوري للشرف المقرون بمسلك النساء، وتحديداً بسلوكهنّ الجنسي، على سواه من المضامين والأبعاد، إنما هو يفسَّر، بأحد وجوهه، بضروراته الوظيفيّة. ومن أبرز هذه الضرورات تأبيد النظام الأبوي العربي حيث "أقارب الدم هم المنحدرون عن طريق الأب[23]". كما يمكن بالتالي فهم أبعاد مقاومة التمثّلات الجماعية لهذا الشرف المحصور بالسلوك الجنسي للنساء. أي هذا المضمون الذكوري للشرف الذي يختزل الشرف إلى المرأة، جاعلاً منها الممثّل الحصري لشرف الرجل؛ فهو الحريص الأول والأخير عليها.

التحوّلات الضبابيّة في قيم الذكورة:

النقاش المركّز مع المراهقين أظهر أن عذرية الفتاة لا تزال تحتلّ أهمية كبرى في وعيهم. وهذا ما لحظه أيضاً تقرير "**الفتاة العربية المراهقة**". ومما جاء في التقرير، أن الاختلاف الجوهري في النظرة إلى الجنس بين الجنسين "يعود إلى مفهوم العذرية(...). إذ لا يزال غشاء البكارة أو مفهوم العذرية مهماً في المجتمعات العربية. ففي الأوساط المحافظة، غالباً ما يرتبط احترام الأسرة "بفضيلة" نسائها المعبّر عنها بالعذريّة[24]". وهو الأمر عينه الذي أكدته دراسة "**حقوق الشباب**" لحمدان، التي أظهرت أن العذرية "لا تزال ضمن القيم الهامة لدى الشباب الذكور، لاسيما في فئة الأعمار المتوسطة(من عمر 22 إلى 25 سنة) فالصغرى(من عمر 18 إلى 21 سنة).[25]

هذا ما يعزّز ميلنا إلى القول بأن أنماط التحولات في قيم الذكورة، لا تزال في مجتمعنا متشعّبة وضبابيّة. لاسيما وأن موضوع الذكورة والأنوثة أساساً، هو موضوع معقّد بسبب تعدّد أبعاده وتقاطع مكوّناته. هذا فضلاً، عن أن التمييز بين الذكورة والأنوثة ينبني على مجموعة من الخصائص الضبابيّة –إذا ما جاز التعبير– وعلى مجموعة من السلوكيات المتغيّرة والمتبدّلة،التي

---

[22] رودنسون، مكسيم، **الإسلام والرأسمالية**، تر.نزيه الحكيم، ط4 ، بيروت، دار الطليعة، 1982 ، ص ص31 ، 41 .

[23] الخوري، فؤاد اسحق، **الذهنية العربية العنف سيد الأحكام**، ط1 ، بيروت، دار الساقي، 1993 ، ص41 .

[24] **الفتاة العربية المراهقة: الواقع والآفاق**، م س،ص112 .

[25] حمدان، حسان، **حقوق الشباب**، م س، ص91 .

تتحدّد بصورة مختلفة، سواء بين المجتمعات أو داخل المجتمع الواحد. ومحاولة هذا البحث تلمّس أحد أبعاد التحوّلات في قيم الذكورة من خلال دراسة تمثّلات الشرف لدى المراهقين الذكور لا يعدو كونه بحثاً في واحد من المؤشرات المتعدّدة على تحوّلات قيم الذكورة. ناهيك بتعدّد الدلالات التي يمكن أن تقود إليها طبيعة المقاربة والحقل المعرفي الذي تندرج فيه. فقد تقود المقاربة النفسية، أو النفس–اجتماعية لتحوّلات الذكورة، إلى تلمّس بعض ملامح التغيّرات الطارئة على سمات الشخصية الذكورية: كالميل الأكبر للذكور إلى التعبير عن الذات بأساليب كانت في زمن مضى محرّمة على الشاب، ليس بفعل طبيعته البيولوجية، وإنما بفعل المؤثرات الثقافية–الاجتماعية. ومن ذلك، إظهار العاطفة الجياشة، أو البكاء وما شابه. وقد تقود المقاربة الأنتروبولوجية أو الاجتماعية إلى تلمّس هذا التحول أيضاً من خلال الزيّ الأقرب إلى أزياء النساء، وإقبال الشبان على أدوات التجميل والزينة أو على عمليات التجميل وما شابه من أمور كانت قصراً على النساء أيضاً. ناهيك بالتغيّرات الحاصلة في سمات الأنوثة والذكورة ومعاييرهما بفعل التغيّرات الملحوظة في الأدوار الجندرية: قوّة الشخصية كسمة لطالما اعتبرت في النظام القيمي الذكوري العربي سمة "ذكرية" أضحت اليوم سمة أنثوية محبّبة لدى الشاب. إذ اندرجت، في دراسة حمدان[26]، قوّة الشخصية ضمن المرتبة الأولى من مراتب مواصفات الشريكة المفضلة لدى الشباب. لكن ذلك لم يحل دون نيل قيم الأنوثة والجمال لدى الإناث الاهتمام الأول في سلم مواصفات الشريكة المفضلة لدى الشباب في الدراسة المذكورة.

في مناعة بعض المنمّطات الجندرية:

دراستنا التي تناولت تمثّلات الشرف لدى المراهقين الذكور، بيّنت مناعة بعض المنمّطات الجندرية أمام كلّ التحوّلات الحاصلة، ومن بينها التحوّلات في الأدوار الجندرية لكلا الجنسين داخل الأسرة اللّبنانية، والتي مهّدت لها الحداثة.

ولعلّ اللّيبرالية الملحوظة لدى أفراد العيّنة حيال بعض قضايا النساء، هي بجانب منها، تعبير عن هذا التحسّن في الأدوار الجندرية لكلا الجنسين المتراكم عبر العقود السابقة. غير أن هذه اللّيبرالية التي لا تشمل المساواة بين الجنسين في ما يتعلق بالحياة الخاصة، تشير إلى ما يختزنه المراهقون من أفكار نمطية تتعلّق بأدوار كلا الجنسين. وهي أدوار سبق وأشرنا أنها لا تزال محكومة بالتمايز النوعي في تنشئة الأطفال والمراهقين.

ولعلّ هذا الواقع يعزّز ميلنا إلى القول بأن تأثير العوامل الاجتماعية الثقافية على الاتجاهات والقيم الجندرية لا يزال في لبنان يقف حائلاً دون تحرّر الشبان من القيم الذكرية المتعارضة مع

[26] المرجع السابق نفسه، ص ص84 -85 .

القيم الحديثة التي يتبنونها، وذلك بقدر تعارض هذه القيم "الذكريّة" مع بعض سلوكيات الشبان وأنماطهم الحياتية "المؤنثة" المتأثرة اليوم بالعولمة وبجانبها الاستهلاكي المتزايد.

الملحق

جدول رقم–1 –: توزّع آباء الذكور بحسب مستويات التعليم في مجموعات النقاش الثلاث

	أمّي	يقرأ ويكتب	ابتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	المجموع
محافظة بيروت	1	0	3	7	4	9	24

ذكور1							
محافظة بيروت ذكور2	0	0	2	0	4	14	20
ضاحية بيروت ذكور	0	0	10	1	1	2	14
المجموع	1	0	15	8	9	25	58
النسبة%	1.72	0.00	25.86	13.79	15.52	43.10	100

جدول رقم–2 – توزّع آباء الذكور حسب المهن

مستوى المهن والنشاطات للآباء	**العدد**	**النسبة**
فئة الوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية العليا	15	51.72
فئة الوظائف والأنشطة التجارية والخدماتية المتوسطة الشأن	7	24.14
فئة الأنشطة الصغيرة والهامشية	2	6.90
فئة العمال الزراعيين وغيرهم من العمال غير المهرة	2	6.90
فئة المهنيّين	3	10.34
العاطلون عن العمل	0	0.00
غيره	0	0.00
المجموع	29	100.00

جدول رقم–3 – النسب المئوية لتوزّع آباء الذكورعلى المهن بحسب كلّ مجموعة نقاش(%)

	مجموعة ذكور بيروت1	مجموعة ذكور بيروت2	مجموعة ذكور الضاحية الجنوبية
المهن العليا	58.33	80.00	0.00
المهن الوسطى	16.67	20.00	42.86
المهن الهامشية	8.33	0.00	14.29
العمال غير المهرة	0.00	0.00	28.57
المهنيون	16.67	0.00	14.29
العاطلون عن العمل	0.00	0.00	0.00
غيره	0.00	0.00	0.00
المجموع	100.00	100.00	100.00

جدول رقم– 4– موقف الذكور في حال تعرّضهم للاغتصاب (%)

	يعلن	**لا يعلن**	**لاجواب**	**المجموع**
مجموعة الذكور بيروت1	25	50	25	100
مجموعة الذكور بيروت2	50	20	30	100
مجموعة الذكورالضاحية الجنوبية-الشياح	0	100	0	100